

## استقلال الجزائر من منظور عربي

أ.د عبد الكامل جويبة. قسم التاريخ- جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

يتفق الكثير من النقاد والقراء عموماً على أن الآداب مجلّة من المجالات العربية القلائل التي ظهرت في وقت أحوج ما تكون فيه البلاد العربية إلى منبر إعلامي ثقافي، يواكب مرحلة التغيير السياسي الفكري، وقد لعبت <<الآداب>> هذا الدور بالتركيز على الجانبين السياسي والثقافي الفكري، وهذا ما تؤكد أول افتتاحية لها، والتي من بين ما جاء فيها:

[... و هدف المجلة الرئيسي أن تكون ميداناً لفئة أهل القلم الواعين الذين يعيشون تجربة عصرهم... فإن الأدب الذي تدعو إليه المجلة و تشجعه هو أدب الالتزام الذي ينبع من المجتمع العربي ويصب فيه. والمجلة إذ تدعو إلى هذا الأدب الفعال، تحمل رسالة قومية مثلى. فتلك الفئة الواعية من الأدباء الذين يستوحون أدبهم من مجتمعهم يستطيعون على الأيام أن يخلقوا جيلاً واعياً من القراء يتحسسون بدورهم واقع مجتمعهم، ويكونون نواة الوطنيين الصالحين. وهكذا تشارك المجلة، بواسطة كتابها وقرائها، في العمل القومي العظيم، الذي هو الواجب الأكبر على كل وطني...]<sup>(1)</sup>.

وقال عنها الدكتور "فؤاد الحاج" من مجلة البيان الكويتية:

[ وفي مطلع الخمسينات ظهرت "الآداب" التي أسسها سهيل إدريس وعينت بالقضايا القومية والوطنية ونشرت إبداعات قيّمة ودراسات جادة واتخذت مواقف واضحة من القضايا السياسية والثقافية التي كانت مطروحة في ذلك الوقت. ]<sup>(2)</sup>.

وهكذا ومن هذين النصين تتضح الأهداف الكبرى لمجلة الآداب من خلال ما نشره من شعر وقصص وأبحاث ودراسات نقدية وتاريخية، لكتب تصب كلها في اتجاه واحد هو الاتجاه القومي، والذي يظهر بوضوح على جميع أعدادها حيث أنه لا يكاد يخلو عدد واحد من أعدادها من هذا التوجه.

فقد طرقت وعالجت في هذا الصدد عدة موضوعات لها صلة وطيدة بالواقع المعاش آنذاك (الخمسينات والستينات من القرن الماضي) في مختلف جهات الوطن العربي، وعلى اعتبار أن جل أقطاره في تلك الفترة كانت قد تحصلت على استقلال حديث، فقد ظلت المجلة تناشد غايات سامية ترمي إلى تبيين هذا الاستقلال وتحصينه من مخاطر الاستعمار الأخرى ولن يتأتى ذلك في نظر المجلة سوى بالوحدة القومية، ففي إحدى المقالات نجدتها تؤكد على أن بقاء التجزئة هو بقاء للاستعمار وتدعيم لسيطرة الأقلية المستغلة التي تبني قوتها على حساب مصلحة

<sup>1</sup> - سهيل إدريس: (رسالة الآداب) << افتتاحية >> مجلة الآداب، العدد: 01، بيروت، لبنان: جانفي 1953م ص: 01.

<sup>2</sup> - موقع على الانترنت، (www.google.fr)

العرب العليا، ليس هذا فحسب بل أن بقاء التجزئة بقاء للضعف والذل واستمرار للفشل والانحلال، ولهذا كان من الطبيعي أن تكون الوحدة العربية هدفا أساسيا للعرب في هذه المرحلة التاريخية.<sup>(1)</sup>

وقد كانت الجزائر أمموجا حيا لهذا الاهتمام منذ الأيام الأولى لاندلاع ثورة الفاتح من نوفمبر أربعة وخمسون تسعمائة وألف إلى الاستقلال في الخامس من جويلية عام اثنان وستون تسعمائة وألف، هذا الاستقلال الذي لم يكن ثمرة جهد بسيط، بل ثمنه كان أغلى ما تملك الجزائر، إنه خيرة أبنائها الذين قدموا أنفسهم قربانا على مذبح الحرية، ويكفي أن هذا الاستقلال قد جاء بعد قرن وربع قرن من الاستعباد والقهر... وما دفعته الجزائر مقابل هذا النصر والاستقلال تقرر به جميع الأمم والشعوب من حيث أنه منقطع النظر، لذلك نجد العديد من الأصوات التي كانت تشكك في استقلال الجزائر في يوم من الأيام هي تنظر إليه اليوم على أنه معجزة القرن العشرين في الحركات التحررية.

ووقفت مجلة الآداب من الحدث موقف المنتمي إليه فهي تعتبر نفسها طرفا في هذا النصر، فكتبت عنه الكثير بادئة بإحصاء ثمن هذا الاستقلال من أنه متباين عن باقي البلاد العربية فنقول:

[ لاستقلال الجزائر معان تباين أعمق المباشرة المعاني التي ألفناها في استقلال البلدان العربية الأخرى... ]

وهذا التباين تفسره المجلة بعدة أسباب منها: طبيعة الاستعمار في الجزائر والذي كان يعتبرها جزءا منه لا يمكن التخلي عنه في يوم من الأيام، بينما في البلاد العربية كان الانتداب... والذي لم يطمح أبدا للاستمرار بالبقاء بها. فتقول:

[ ... لقد كانت تلك الأقطار خاضعة للانتداب - من حيث التسمية الدولية - وإن يكن ذلك الانتداب لونا من ألوان الاستعمار. ولم يكن الاستعمار يدعي بالتالي أي حق دائم في البلد العربي الذي يحكمه، وأي نسب قرى بينه وبين أبنائه، أما في الجزائر فالشأن مفارق لهذا، إن فرنسا تعتبر الجزائر جزءا منها، وهي تقيم فيها بجيوشها وبمستوطناتها منذ أكثر من قرن وربع، محاولة خلالها أن تمحو كل طابع ذاتي لها وأن تحقق دمجها النهائي بفرنسا... ]<sup>(2)</sup>

كذلك بالنظر إلى التضحيات التي قدمها هذا الشعب في سبيل هذا الاستقلال، والتي لم يكن لها مثيل في أي قطر من الأقطار العربية.

[ ... ولقد بذل الجزائريون من التضحية والحرمات ما يعجز عنه إلا الشعوب الصامدة ذات الطاقة العجيبة على المقاومة، وقدم على مذبح حرته مغات الألوفا من الشهداء، وكشف من ألوان البطولة والفداء ما يعز نظيره لدى الشعوب، بل أن هذا النضال العظيم كان مفاجأة الشعب العربي لنفسه وإمكاناته. وكان رمزا معبرا عما يستكن

<sup>1</sup> - شبلي العيسى: (حول الوحدة و الاتحاد)، مجلة الآداب، العدد: 02، بيروت، لبنان: فيفري 1956م، ص: 03.

<sup>2</sup> - عبد الله عبد الدايم: < الجزائر المستقلة و الثورة > مجلة الآداب، العدد: 08، بيروت، لبنان: أوت 1962م، ص: 01

في هذا الشعب من طاقات ضخمة وإيمان عظيم بقدراته على المقاومة وعلى انتزاع حقوقه وقسر الأعداء على التسليم بحقوقه...<sup>(1)</sup>.

وفي نفس السياق تقول المجلة في عدد آخر:

[...] وهكذا كانت المعركة ضد فرنسا في الجزائر معركة لا كالمعارك، وكان تحقيق استقلال الجزائر عملا يتطلب من الصلابة والعزيمة ما يفوق أعظم معاني الثورة وأقساها. لقد كان يتطلب موقفا يصهر المناضلين في مغامرة قومية وإنسانية كبرى، طريق الحياة فيها هو طريق الموت، وسبيلها سبيل من تنازل عن الحياة فذلت له الحياة ودانت...<sup>(2)</sup>

بالإضافة إلى طول مدة الكفاح والتي كانت بمثابة تربص للشعب الجزائري، حيث رتبته الثورة على روح الاتكال على النفس والعزم على تحقيق الغاية المنشودة في جو من التلاحم والتكاتف منقطع النظير بين جميع شرائح المجتمع، لذا حق على الجميع تسمية الكفاح في الجزائر بالثورة الشعبية. وهذا ما أكدته الكثير من الكتاب<sup>(3)</sup> [...] وتلاحظ بيسر أن لا مجال في تلك الأرض، وهذه النفوس، للاسترخاء والدلال والميوعة التي نشهدها في كثير من بلادنا العربية. إنهم جميعا يريدون أن يكونوا على مستوى الثورة التي عاشوها طوال ثماني سنوات، والتضحيات التي قدموها بمئات الألوف من الأرواح... يمثل هذه الزغاريد كانت الأمهات يودعن أولادهن الداهبين إلى ساحة الكفاح، ويمثل هذه الزغاريد كن يستقبلن استشهاد أولادهن في ساحة الشرف. إنهن لم يعرفن الولولة يوما، وإنما كانت كلها زغاريد تطلق لمجد الجزائر وحررتها...<sup>(4)</sup>.

أما موضوع الاستقلال فقد طرحته المجلة في عدة أعداد كخيار لا بديل عنه، مستهزئة بجميع الحلول الترقيعية التي طرحتها فرنسا، والتي تريد من ورائها مغالطة الجزائريين وبالتالي تخليهم عن الثورة. فتقول: [...] الحل الوحيد الذي لا تحتمل سواه قضية شعب عربي ما زال يناضل منذ قرن وربع القرن دفاعا عن استقلاله وحرية وقوميته وكل حل آخر اقترح أو يقترح، فلن يعدو أن يكون تحريا ربما دل على براعة السياسة لكنه يترك المشكلة قائمة، ويبقى أشد وأعنف حين يتلاشى أثره المخدر. إن الجزائر عربية ولن يحل مشكلتها شيء أدنى من الاستقلال الوطني وهي حقيقة يفهمها الشرفاء من الفرنسيين، بل يفهمونها أيضا الضامن الوحيد لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من علاقة فرنسا بالجزائر، وخير ما يتمثل به هذا الاستقلال جمهورية جزائرية عربية ديمقراطية تضمن لجميع الجزائريين من وطنيين ومستوطنين حقوقهم الشرعية.<sup>(5)</sup>

<sup>1</sup> - الآداب: << افتتاحية >> << تحية إلى الجزائر >> مجلة الآداب، العدد: 11، بيروت، لبنان: نوفمبر 1959 م، ص: 01.

<sup>2</sup> - عبد الله عبد الدائم: المصدر السابق.

<sup>3</sup> - حنة اريندت: رأي في الثورات، تعريب خيرى حماد، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ب.ت، ص: 308.

<sup>4</sup> - سهيل إدريس: < على أرض الجزائر > < افتتاحية >، مجلة الآداب، العدد: 12، بيروت، لبنان: ديسمبر 1962 م، ص: 01.

<sup>5</sup> - رفيف حوري: < الحل الوحيد لقضية الجزائر >، مجلة الآداب، العدد: 04، بيروت، لبنان: أبريل 1957 م، ص: 75.

وعندما لاحت تباشير النصر نجد الفرحة والابتهاج باديان على صفحاتها، وفي جميع الموضوعات التي تناولت القضية الجزائرية، ومن ذلك ما ورد في احد الأعداد [البشرى لنا، أيتها الجزائر العظيمة، يا أرض البطولات الخالدة! ... اليوم فقط بلغنا، أيتها الجزائر، نبأ وقف النار في أرضك المقدسة، فلم يتح لنا بعد أن نغيق من نشوة النصر...]<sup>(1)</sup>

وكتبت في مقام آخر بنفس مناسبة وقف إطلاق النار:

[... ويوم لاحت بشائر النصر في آفاق الجزائر، ووقف شعبها البطل يأبى أن يسلم ببعض أهداف الثورة، وأعلن أنه متمسك بكل تلك الأهداف تيقن الجميع أن هذا الشعب هو الرقيب العتيد الذي لا يغادر كبيرة ولا صغيرة من أمور ثورته الوطنية العربية إلا أحصاها. وكان يوم النصر، وتسلم الشعب زمام أموره، فسمع كل ذي سمع وشهد كل ذي بصيرة كيف استطاع هذا الشعب العربي الخالد أن ينتصر على إرهاب المجرمين من عصابة الجيش السري حتى ألقى بها وبمن وراءها في عرض البحر إلى حيث لا أمل في العودة...]<sup>(2)</sup>

وتعتز باستقلال الجزائر وثورتها، وتعتبرها ثورة عربية ردت الاعتبار للعرب ككل، بل انتقمت لهم من الاستعمار الذي ظل ينظر للشعوب العربية على أنها شعوب متخلفة لا تصلح إلا للاستعباد والاستعمار، كما نجدها تعلق عليها آمالا كبيرة لتخليص العرب مستقبلا من تبعات الاستعمار، وتنظر إليها على أنها صاحبة فضل على العرب إذ أنها ردعت الاستعمار وزادت من تلاحم الشعوب العربية وضاعفت من قوة الشعور القومي وهذا ما ذهب إليه أحد الكتاب<sup>(3)</sup>. وفي كثير من الأحيان نجدها تتبنى الثورة الجزائرية وتعتبر نفسها جزءا منها وذلك باستخدام عبارات: ثورتنا، جزائرتنا، روحنا الثائرة... فكتبت في إحدى الافتتاحيات:

[... إن هذه الكلمة القصيرة، وكلمات طويلة كثيرة أخرى، لأعجز من أن تعبر عما نحن مدينون به لك ولثورتك، ولكننا نعتقد مع ذلك بأن هذه الثورة، ستعمل كما تعمل كل ثورة عربية مخلصه على رد القيمة للحرف العربي، هذا الحرف الذي ما يزال يهدره كثير من التدجيل والنفاق، وسيكون من شأن ثورتك أن يرفعه من جديد إلى صعيد الحرمة والقداسة. ستظلمين يا جزائر، إلى مدى بعيد مهوى أفئدتنا، ومنار تاريخنا الحديث، ومشعل حريتنا المنتصرة. وكلما واجهتنا صعاب جديدة، وستواجهنا من غير ريب، فحسبنا أن نذكر ثورتك ونضالك، لنتملىء عزما وإقداما، وحسبنا أن نذكر تضحياتك، لتهون لدينا كل تضحية.

أيتها الجزائر العظيمة! تحية تمجيد واعتزاز! تحية إلى روحك، روحنا الثائرة، التي لن تنطفئ شعلتها إلى الأبد. تحية حب، يا جزائر!]<sup>(4)</sup>

1 - الآداب: < تحية إلى الجزائر > < افتتاحية >، مجلة الآداب، العدد: 04، بيروت، لبنان: أبريل 1962م، ص: 01

2 - أحمد الجوارى: < عروبة الجزائر > مجلة الآداب، العدد: 12، بيروت، لبنان: ديسمبر 1962م، ص: 04.

3 - عبد القادر البنداري: فلسفة الكفاح العربي نحو الوحدة والتحرر، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة: 1960، ص: 49.

4 - الآداب: تحية إلى الجزائر، المصدر السابق.

ويكتب رئيس تحرير المجلة في احد أعداد الاستقلال معتزا بثورة الجزائر ومبتهجا بما أثناء زيارة له إلى الجزائر. الأولى من نوعها في الأيام الأولى للاستقلال فيقول: [...] خرجت ذات ليلة إلى حديقة الفندق الذي كنا نزل فيه ويدي زحاجة فارغة. وحين انخبت إلى الأرض، ومست يدي التراب، سمعت أحد خدم الفندق يسألني: ما الذي تفعله يا سيدي؟ فأجبت من غير أن أرفع إليه بصري: أملاً هذه الزحاجة من تراب الجزائر. فانحنى أمامي وهو يقول: دعني أملاًها عنك. قلت: بل دعني أملاًها بيدي. إن هذا تراب مقدس أريد أن أحمل حفنة منه إلى بلدي. وحين عدت بالزحاجة، شعرت بأنها تنقل في يدي ثقلاً غير طبيعي. إنه تاريخ الجزائر المجهول بالدم والإبء

(1)

وتنشر المجلة بداية من العدد الرابع لسنة 1962م، موضوعات كلها تعبر عن الفرحة والابتهاج بالنصر الذي حققته الثورة الجزائرية بمناسبة توقيع اتفاقية إيفان ووقف إطلاق النار في 19 مارس 1962م، هذه الموضوعات تنوعت بين الافتتاحيات والمقالات والقصائد، ففي إحدى تلك القصائد نجد تطري وتثني على بعض زعماء الثورة الجزائرية الذين ذاع صوتهم في الوطن العربي، ومن بينهم " أحمد بن بلة " فتقول فيه:

[... عرفت عنك الكثير

قرأت عنك الكثير

سمعت عنك الكثير

لكنني لم استطع أن أراك

فأنت هذا .. وذاك..

بن بلة

بن بلة

يا لحة في الأفق الممتد، يا وهلة

تختصر التاريخ في جملة

بالدم مروية: عاشت الحرية... (2)

وأخر يقول قصيدة في نفس الشخص، يطرب ويشئ عنه، وأكثر من ذلك يعلق عليه آمالا عربية قومية تتصل بما تعانيه الأمة العربية من مشاكل استعمارية في ذلك الوقت، كضياع فلسطين في أيدي اليهود، فالشاعر يرى أن الثورة الجزائرية مثلما تمكنت من هزيمة أكبر قوة استعمارية في ذلك الوقت، هي فرنسا والحلف الأطلسي، فإن الآمال معلقة عليها والأنظار العربية موجهة إليها لتخليصهم من الخطر اليهودي فيقول:

[... نار على أعدائنا الحاقدين

1 - سهيل إدريس: < على أرض الجزائر > < افتتاحية >، مجلة الآداب، العدد: 12، بيروت، لبنان: ديسمبر 1962م، ص: 03

2 - كاسم جواد: < أربع قصائد إلى الجزائر الظاهرة > مجلة الآداب، العدد: 05، بيروت، لبنان: ماي 1962م، ص: 04.

يا فارسا مر.. فضح العراق  
مواكبا سمرا، وفجر انطلاق  
موجا يدوي باسم كل العرب الخالدين  
باسم المثني يا أبا الثائرين  
متى نرى " وهران " بعد الفراق  
تشدها للعراق.. للشام، للأهرام... لقياء عناق  
متى يغني الرفاق  
انشودة الفجر على أشلاء صدر الحدود  
متى نرى وجهك عبر السدود  
يصرخ في الليل " ياهوذا " : نعود  
غدا، على أشلاء كل اليهود  
أشلاء تجار الردى والحروب  
أعداء كل الشعوب  
متى متى يا أحمد الثائرين  
تزهو بنا الأحلام للحالمين [1].

وفي مطلع قصيدة أخرى نجد الشاعر يصور الحرب التحريرية بالعواصف والتي هدأت بوقف إطلاق النار، ثم ينتقل إلى الحديث عن الغد المشرق في جزائر الاستقلال، والذي يرى فيه الجزائر قلعة للسلام إذ يقول:

[ ستهدأ العواصف.. والليل والمخاوف  
وتصبحين للسلام قلعة حصينة  
تنبع من شعابها الأنغام والسكينة... ]

ويواصل عرض التضحيات التي قدمتها الجزائر في سبيل هذا النصر، وما يقابله من هزائم متتالية للاستعمار، فيصور ثورة الجزائر بالنصر القومي العربي ويذهب إلى تشبيهه بانتصارات " صلاح الدين الأيوبي " إذ يقول في هذا الصدد:

[ ... عاد صلاح الدين من قلب السنين ملهما  
ودمدما وحوما  
وقال للشعوب سيرى فالظلام انحرما  
فلن تعودى ورقا.. تذرْف ريج ورقا ]

<sup>1</sup> - محمد جميل شلش: > إلى أحمد بن بلة < مجلة الآداب، العدد: 12، بيروت، لبنان: ديسمبر 1962م، ص: 05.

فتسكنين الغسقا

وتمضغين ألقلقا

وتصبحين مثلما قد كنت أمس مزقا

جزائري.. جزائري يا حلم المحاضر

ستزرعين.. تحصدين.. شجر الزيتون

لك الكروم.. والظلال.. لا لذاك السين

فما كبا جوادك الأمين في السنين

يجرس أبواب الشمال ضاحك الجبين...<sup>(1)</sup>.

وشاعر آخر يضع عنوانا لقصيدته هو: <<أغنية العودة>> وتكتب المجلة تحت هذا العنوان: <<إلى

الشعب الجزائري المنتصر>> وهي قصيدة تتحدث عن الفرحة بالنصر، وقيمة الاستقلال الجزائري الذي هو في

حقيقته استقلالا للعرب ورمزا لقوتهم وشهامتهم، ومن جملة ما جاء فيها: [ ... العود حميد يا عشاق

الإنسان

يا رواد القمة

غنوا الشمس على أبيات الأحرار

غنوها في عين مدينتنا

وعيون الأحباب الشرفاء

في عالمنا الأتي الأكبر

غنوا، لن يفنى سحر الحرية

غنوا، فالليلة موعد أحبابي. <sup>(2)</sup>.

وفي الأخير يمكن القول أن كل تلك الموضوعات التي نشرتها المجلة تعبر فعلا عن متابعتها الدقيقة لأحداث

الجزائر، بل عاش محررو هذه الموضوعات كل تلك الأحداث فنجدهم يتأثرون بما يحزن وما يفرح، وما هذه القصائد

إلا دليلا على تلك الانفعالات الصادقة، كما تؤكد أن المجلة ليست صرحا أدبيا بقدر ما كانت منبرا سياسيا تُطرح

عليه قضايا الأمة وانشغالاتها، فكانت قضايا الثورة الجزائرية بالنسبة لها ليست قضايا جزائرية فحسب بل عربية

قومية وجب الوقوف إلى جانبها وتقديم العون لها حتى ولو بالكلمة والقلم وهما في الحقيقة خطيرين على الاستعمار

خطورة القبلة والرشاش، فذهبت في البداية إلى فضح الاستعمار وأساليبه الممجية في التصدي للثورة الجزائرية، كما

عملت على شحذ الهمم وتقوية العزائم لدى الجزائريين، وأكثر من ذلك فهي تدعو صراحة إلى تقديم الدعم المادي

<sup>1</sup> - محيي الدين فارس: < الجزائر و السلام > مجلة الآداب، العدد: 12، بيروت، لبنان: ديسمبر 1962م، ص: 05.

<sup>2</sup> - حسن فتح الباب: < أغنية العودة > مجلة الآداب، العدد: 09، بيروت، لبنان: سبتمبر 1962م، ص: 33.

والسياسي لهذه الثورة، لتصل معها إلى النصر فتسخر صفحاتها للإعلان على هذا الإنجاز العظيم والفريد من نوعه حتى تطلع شعوب العالم على عظمة هذا الشعب، الذي هو جزء من الأمة العربية رغم محاولات الاحتلال المتكررة لتزييف وتحريف شخصيته وقوميته.